

## «رماد» مرشح لـ «سيزار» و«نُعوسَة» بميزانية قليلة

# جريج وحاجي توما والحداد الذي لا يتم

الفرنسية «TV5» ومهرجان روتردام في هولندا. تكوّن فريق العمل من تقنيين وفنيين لبنانيين وفرنسيين وعرب، كجان لابواري (مديرة التصوير) وغيوم لوبراز (صوت) وفارس العجمي (مدير إنتاج) وماريان كترا (مساعدة مدير الإنتاج) وزينة صعب ديميليريو (سكريبت) وصوفي خياط (ديكور) وصوفي أوديبه (مساعدة أولى للمخرج) وكورين شادي (مساعدة ثانية للمخرج).

يبدأ المخرجان السينمائيان خليل جريج وجوانا حاجي توما تصوير فيلم روائي طويل جديد لهما بعنوان مؤقت «نُعوسَة»، يوم الاثنين المقبل في الأول من تشرين الثاني ٢٠٠٤، في مواقع لبنانية عدّة، لمدة خمسة أسابيع. تمثيل جوليا قصّار وزباد سعد وعدد من الممثلين غير المحترفين، بعد أن حصلوا على ميزانية متواضعة من مؤسسات أوروبية أبرزها: "Fonds Sud" و«الوكالة الدولية للفرانكوفونية» والمحطة التلفزيونية

بعد مرور خمسة أعوام على تحقيقهما «البيت الزهر»، فيلمهما الروائي الطويل الأول، يبدأ خليل جريج وجوانا حاجي توما تصوير فيلم روائي طويل ثانٍ لهما، منحاه عنواناً مؤقتاً هو «نُعوسَة». على الرغم من ذلك، لم يكن مهماً سؤالهما عن سبب غيابهما عن الروائي الطويل في خلال الفترة السابقة هذه، إذ إن المهتمين بالشأن السينمائي يعرفون الجواب: أزمة الإنتاج وصعوبة الحصول على تمويل لازم. لكن المعنيين بالسينما اللبنانية يدركون أن العمل السينمائي لا يعني إنجاز فيلم روائي طويل فقط، بل يتشكّل أيضاً من أنواع بصرية مختلفة، حقّق جريج وجوانا توما بعضاً منها في الأعوام الفائتة، وآخرها «رماد»، روائي قصير غاص في تشعبات حالة إنسانية واجتماعية لبنانية ناتجة من مصاب الموت وعالمه.

### مفاجأة «رماد»

في بداية لقائنا بهما، تحدّث جريج وحاجي توما بفرح عن «مفاجأة» تلقيها معاً قبل أيام قليلة على بدء تصوير «نُعوسَة»: اختيار «رماد» للمشاركة في التصفيات الأولى لجوائز «سيزار»، المعادل الفرنسي للجوائز الهوليوودية «أوسكار»، مع اثني عشر فيلماً روائياً قصيراً من دول مختلفة. ذلك أن اللجنة المشرفة ورّعت هذه الأفلام على ثلاثة آلاف متخصص فرنسي بشؤون سينمائية متنوعة لاختيار أربعة أفلام فقط تتنافس على جائزة واحدة في التصفيات الأخيرة، علماً أن نتائج هذه «المسابقات» الدولية الخاصة بالأفلام الفرنسية (هناك جائزة خاصة بالأفلام الأجنبية) تُعلن سنوياً في شهر شباط.

أما «نُعوسَة» فتجربة سينمائية جديدة لهما على مستويي الإنتاج والتنفيذ، إذ إنهما قرّرا خوض مغامرة مختلفة في تحقيقه، انطلاقاً من حصولهما على ميزانية متواضعة أتاحت لهما أولاً تصوير الفيلم بكاميرا «سوبر ١٦» من دون اللجوء إلى ديكورات مصنّعة بل طبيعية. ذلك أنهما ارتأيا النزول إلى الشارع والتقاط المشاهد المطلوبة من الواقع المعيش والناس الموجودين هنا وهناك، بدل اللجوء إلى إعادة بناء هذا الديكور، أو ذاك الحي، أو تلك الحانة. وبقدر ما يحتمل السيناريو توقفاً إلى سير أغوار المدينة وناسها وذاكرتها وتفصيلها بالتناقضات المختلفة، وضعت خطة التنفيذ على الحدّ الفاصل بين الوثائقي والروائي، على الرغم من خطورة السير عليه. فالتقاط المشاهد كما هي في الواقع تبدو وكأن الفيلم متّجه صوب الوثائقي، في حين أن الحبكة والمعالجة مصنوعتان بتقنية الروائي، والقصة «مقتبسة» من الواقع الإنساني اللبناني والتجربة الشخصية.

يصعب اختصار القصة المتشعبة في ثانيا الروح والجسد، والذاهبة بالحس الإنساني إلى تخوم الذات وعلاقتها بنفسها والآخر القريب منها والعالم وتحولاته. لا تتحرّر الحكاية من الذاتي، لكنها لا تعكس



جوانا حاجي توما (مصطفى جمال الدين)



خليل جريج

الخاص فقط. إنها خليط متداخل من التفاصيل والأشياء والخبرات التي أعادت رسم شيء من الحياتي في مجتمع مشرذم وخاضع لسلطة تأثيرات خارجية عليه. في لقائنا «السفير»، حاولت جوانا حاجي توما أن تقدم صورة مختصرة عن القصة، فقالت إن محورها متعلّق بشخصين يعيشان، في أربع وعشرين ساعة فقط هي مدّة أحداث الفيلم، تجربة تدفعهما إلى التقارب والابتعاد في وقت واحد: «لدى بطل الفيلم مشكلة مرتبطة بعجزه عن النوم، إذ إنه مُصاب بمرض انقطاع التنفّس لثوان عدّة وهو نائم، مما يجعله مستيقظاً في الليل ومتعباً ومنهكاً طوال النهار. لهذا كلّه علاقة بالإيقاع. فالفيلم يصوّر إيقاعات عدّة خاصة بالناس والمدينة ونمط الحياة وأسلوب العيش، إلخ. يختلف إيقاع بطل الفيلم عن إيقاع المدينة. والإيقاعان المختلفان للبطل والمدينة لا يشبهان إيقاع المجتمع. ما نحاول، خليل وأنا، أن نرويّه هو التالي: لم يحسم بطل الفيلم وضعه ولم يشأ أن يقطع مع مشاكله بهدف الخلاص منها. هذه مسألة مهمة للغاية. البطل وأمه عاجزان عن حسم الأمور كليهما، لأنهما لم يُقيما شعائر الحداد القادرة على تحريرهما من وطأة الألم والقلق». أضاف خليل جريج: «هناك نقطة أودّ التوقّف عندها: كيف يُمكنك كجسد أن تكون موجوداً في مكان مثل لبنان. هذا سؤال نحاول معاً الإجابة عنه في سياق الفيلم ومناخه». أضافت جوانا: «الفيلم يشبهنا. وضعنا فيه أشياء كثيرة من تجربتنا وانفعالاتنا وأحاسيسنا إزاء البلد والعالم»، بينما قال خليل إن الفيلم يروي علاقتنا بالحدائث والواقع وبما هو مطلوب منا أن نفعله ورفضناه أو لم نشأ أن نفعله أو لم نحبّ أن ننقّذه. هناك أيضاً العلاقة بالأهل وهي ليست سوداء أو بيضاء».

### تفاصيل إنتاجية

في موضوع الإنتاج، قالت حاجي توما